جذور عنيدة

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

Elnokhbapublish.com

1441 هـ – 2020 م

رقم الإيداع: 7231 / 2020

الترقيم الدولي: 2 – 477 – 838 – 977 – 978

الكتاب: جذور عنيدة

المؤلف: خالد مهدي حسين ال عربو الشمري

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع في مصر

جذور عنيدة

المجموعة القصصية الثانية

خالد مهدي حسين ال عربو الشمري

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع
2020

الإهداء...

إلى...

الباحثين عن الجمال في بساتين الكتب

المتلذِّذين بثمار الحروف

وإلى

من ساندني من عائلتي: زوجتي، وبناتي، وأصدقائي...

إليهم جميعا

أهدي مجموعتي الثانية

حديثُ العيون

طريقُ السفر طويلٌ... جلوسه قرب النافذةِ يشعره بالسعادة... زجاج النافذة يعكس ذكرياته الجميلة... لحظات سعيدة، تتغير الصورُ مع الطبيعة التي تمرُّ بها الحافلةُ.

بين تأمله الطويل لزجاج النافذة، وإذ بها تعكسُ صورةَ فتاةٍ، وهي تنظرُ إليه، كانت تجلس في مقعدٍ خلفه... يراقبها، ويراقبُ حركاتها... تلك النظرات شغلته كثيرًا.

قطعت الحافلةُ طريقًا طويلًا، وهي لم ترفع بصرَها عنه! غيَّرَ جلسته كي يراها بشكلٍ أفضل... جمالُها لم يكن وحده يشغله، بل أنغامُ أغنيَّةٍ حزينةٍ، ودموعُها التي نزلت مع النغمات. بدأ يشعر أنَّها تبادله نفس الاهتمام... عيناها التي لم تتركه ولو للحظةٍ جعلته متأكدًا أنَّها كانت تبادله الاهتمام...

تتوقف الحافلةُ.

ترتدي نظاراتها السوداء لتترجَّل مع عكازها!

قسمةٌ

بعد أن تعسَّرت ولادتُها... صار من الضروري أن ينادى على القابلةِ، التي كانت (الجدة) كبيرة القرية... عجزتْ معها بكلِّ الطرقِ القديمة، وآخرها جلبُ قَدْرٍ كبيرٍ مملوءٍ بالماء فأجلستها به، كانت بدينةً جدًا!

الساعات تمرُّ عليها حتى أنهكها التعبُ، ففارقت الحياةَ بعد أن أنجبت!

وُضع المولودُ "بطشتٍ"، ورُكِنَ جانبًا... جرت العادةُ بينهم ألَّا يُدفن الميتُ، إلَّا بعد أن يجتمعَ الأقاربُ حوله...

الوقتُ يمضي بين رحلة الجنازة والمقبرة، وقبلها الغسلُ إلى رجوعِ المشيعين إلى القرية... ليُجَهَّزَ المأتمُ لإقامة الفاتحة، التي كانت تستمرُ لسبعةِ أيامٍ كاملةٍ، بين حادث الوفاة وبرودة الجو.

في اليوم التالي تذكَّروا المولودَ حيث وُجد تحت التختِ داخل «الطشت».

إرادةُ الله أن تكون طفلةً، وما زالت على قيد الحياة! صاحَ الجميعُ إنَّها (قسمة).

بعد سنين طويلة اجتمعت مع أبنائها الثلاث وبناتها الستة تروي لهم قصتها، حين أسموها (قسمة).

هاجسٌ

أسيرُ بخطًى مثقلةٍ على ضوءِ القمر الخافت... أرى وقعَ أقدامي بصعوبةٍ، الطريق لونه أسود...

الظلُّ خلفي ملامحُه ليست واضحةً، لكن أبصرتُهُ جيدًا... يختفي، كيف لم أعد أراه حينما يكون موجودًا؟! البوحُ المسكونُ في دهاليزٍ مظلمةٍ تدور كالضباب داخل رأسي، تلك الظنون تقترب من الحقيقية، كلانا يسير وأحيانًا نندمج! لا ينطقُ، وكثيرًا ما أشعرُ بشكواه، فسوادُه كثيفٌ، حينما نصبح كلانا غارقين بملكوت العزلة...

ينفخُ في حممٍ مركونةٍ... تستعرُ الحروفُ فينطلق من رأسي دخان العبارات...

قبل منتصف الليل... أعودُ مسرعًا، وهو يسرعُ أيضًا، حتى يختفي... أركنُ إلى دفاتري أفتحُ ورقةً جديدةً، أتردَّدُ وأغلقها... لابد أنَّ خطَّ البداية أبعد بكثيرٍ من خطِّ النهاية.

يوقفني صفيرٌ في أذني... أسحبُ قلمي، أفتحُ دفتري ثانيةً، أعصرُ ذوبانَ السنين...

في وسط الصفحةِ أكتبُ عنوانًا بـارزًا.... الظلُّ يسكنني... تنتهي الرواية.

معزوفةُ الطائر

كانت طفولتُه عصيبةً، بين فقد الأمِّ، وزوجة الأب القاسية... لم يكن الحرمانُ وحده سببًا لتعاسته... الحياةُ التي عاشها جعلته شخصًا آخرَ مختلفًا في كلِّ شيءٍ، حتى تفكيره الذي جعله إنسانًا يتعامل بالشك، والظن، والريبة تجاه الناسِ، بل كلِّ شيءٍ يُئَوَّلُ لديه حتى مخارجِ الحروفِ...

في زحامِ الأيام ولونها الأسود، حياتُه المتعثِّرة جعلته لا يكملُ دراسته، لكنَّه وجدَ طريقًا ليكون أديبًا، لم يكن سهلًا أن يتمنَّى الصعودَ للقمَّةِ، فكان أمرًا صعبًا له ولمن عرفه!

بعد أن غزاه الشيبُ وكثرت التجاعيدُ، يستعيدُ ذكريات الطفولة بين الحروف والكتب التي يقضي يومه بينها... فكانت مجالسته للأصدقاء تنتهي دائمًا بشجارٍ مع العديد منهم، لذلك لم يعد له صديق.

يخرجُ إلى فناء الدار الذي يشرفُ على منظرِ البنايات القديمة... وطالما شدَّه منظرُ «طائر اللقلق» الذي كان يعيش فوق سطحِ

إحداها، كان طويلَ المنقار، يصفقُ بجناحيه، ويصدرُ صوتَ طقطقةٍ بمنقاره كأنَّها معزوفة... يراقبه دائمًا، فوجده مع كلِّ أذانٍ يؤدي حركاتٍ تدلُّ على أنَّه يصلي!

بين جدلِ النفسِ التي كانت بعيدة عن الله، ولم تقرب الصلاةَ تأثَّرَ كثيرًا بالطائر، عادَ مسرعًا إلى غرفتِه، ومدَّ سجادتَه، ورفعَ يديه خلفَ رأسِه والدموعُ تغرقُ عينيه... يردِّدُ ليس اللقلقُ أفضلَ مني.

عَبرَ الأثير

اترقَّبُ رنينَ هاتفي... تسكنُ مخيلتي... حركاتُها صوتُها... شعرُها عيناها... شفتاها... كما وصفتْ نفسَها.

براكينُ تتفجرُ داخلي... أحبسُ أنفاسي، وأمنعُ حروفي... قصائدي ناقصةٌ...

أخفت عني صورتَها... تلوذُ خلفَ شاشةٍ بيضاءَ... تتحدثُ عن انكساراتٍ، وغيومٍ لم تمطر بعد... تبكي فراقَ عشقِ سبعِ سنواتٍ... تتألمُ ويفارقها النومُ... ذلك الحبيب الذي سافر بعد أن رُفِضَ من أهلِها، عندما شاع حبُّهما بين الناس.

ليس لي قدرةٌ أن أخبرَها بحبِّي... ومشاعري تطيرُ عندها مع كلِّ رنةِ هاتفٍ... تلك الأحلام التي تغازلني فيها، والصور الجميلة التي صنعتُها في مخيلتي، أخافُ عليها منها.

جذورٌ عنيدةٌ

أُغلقت كلُّ الأبوابِ بوجهه... يشعرُ بأنَّ الحياةَ تقتربُ من نهايتها، يتصفَّحُ أركانَ الغرفةِ، ثم ينتفضُ تاركًا كلَّ الهمومِ خلفه، تسحبُه أقدامُه خارجًا ليجدَ نفسَه وحيدًا يتأملُ بركةَ ماءٍ... تشدُّه أصواتُ الطيورِ، وحفيفُ القصبِ الذي يسمعُها، ظلَّ ساهيًا يتأملُ، وعيناه تراقبُ كلَّ حركةٍ، حتى توقَّفَ التفكيرُ عند قصبةٍ أمامه!!

ترتقي بقامتها نحو السماء، الماءُ أصبحَ جزءًا منها... نايٌّ يعزف ما إن هبَّتْ نسمةُ هواءٍ... اعتادتْ الأجواءَ التي فُرضتْ عليها، يعكسُ الماءُ صورتَها، تتمايلُ راقصةً مع زقزقةِ عصفورٍ، أو تغريدِ بلبلٍ، لا تنحني إلا إذا حطَّ فوقها طيرٌ فتميلُ للقاعِ هاويةً...

لا تشتكي الطيرَ، فتنهضُ مبتسمةً ما إن غادرها أو طارَ بعيدًا، ولا تلك البطةَ التي تتعايش على جذورها، فإن زادَ نبشُها وانكشف الطين عن الجذر، يرتفعُ للسماءِ رأسُها، وتعرفُ بأنَّ الموتَ

يقتربُ، لكنَّها إنْ تمدَّدت وجدتْ فرصةً حتى تتمسَّك جذورُها بالأرض!

أدهشه المنظرُ... نفضَ الترابَ عن يديه، وبسبابته يعيدُ حاجبيه إلى مكانهما، وهو يبتسم... للأبوابِ المغلقةِ مفاتيحٌ.

الوطواط

بصوتٍ رخيمٍ... كان يلهِّي نفسَه بالغناء... تذوبُ المسافةُ التي يقطعها راكبًا حماره ذهابًا وإيابًا لنقل البضائع. الجميعُ يحبُّه، لكنَّ منظرَ أذنيه الطويلتين جعلهم يلقِّبوه (أبو آذان)!

في جلسةٍ لكبار القرية تداولوا حديثَ هذا الشاب الذي يحتاجُ إلى زوجةٍ، أحدُهم تبرَّعَ له بدارٍ في نهايةِ أرضِه، والتي تكون قرب النهر.

كأيِّ رجلٍ آخر كان يحلمُ أن تكونَ له عائلةٌ... حلمٌ يعيش معه...

الناسُ في القرية يحلو لهم وصفُه بالأبله.

تصاعدت الزغاريدُ، ودوَّتْ حناجرُ النساءِ بأغاني الفرحِ العارمِ، وهو سيُزفُّ إلى زوجتِه.

بعد ثلاثة أيامٍ تعودُ الزوجةُ إلى بيتِ أبيها هاربةً... هُرِعَ كبارُ القرية لجلسةٍ طارئةٍ في بيت أهل العروس، وبعد جدلٍ طويلٍ

عُرف السببُ، كان يتصرفُ بغرابةٍ وعنفٍ في المعاشرةِ، ويخرجُ مسرعًا إلى النهرِ فيقفزُ بملابسه ليعود إليها مَرَّةً أخرى، ويعيدُ الكرَّةَ بلا توقفٍ إلى أنْ هربت منه مستاءةً ومرعوبةً!

جلسَ الكبارُ ثانيةً واتفقوا معه على أن يكونَ منصفًا وطبيعيًّا في هذا الأمر، كما طلبوا إليه أن يقبِّلَ رأسَ أمِّ العروسِ، ويستسمحُ زوجتَه لتعودَ معه، وعندما دخل عليها في غرفة أمِّها، أغلقَ البابَ، وعادَ متشوِّقًا لمعاشرةٍ عنيفةٍ... عادت الزوجةُ بعد أن نفَّذَ طلبَ الرجالِ، لكنَّه بعد يومين عادَ كما كانَ، وبلا توقفٍ، حتى هربتْ بلا عودة!

بين جدرانٍ خاويةٍ يبحثُ عنها ليعودَ للغناءِ سالكًا الطريقَ نفسه ذهابًا وعودةً يصبِّرُ نفسَه. لكنَّه يكتشفُ أنَّ تلك اللذة تختلف عن التي يشعر بها مع حمارتِه ورفيقتِه في الطريقِ الطويلِ، فقد كان يختلي بها دائمًا ولم تهرب منه.

بعد نشوب الحرب، يختفي تمامًا، تساءل الناسُ: أين ذهبَ؟

عبر شاشة «التلفاز» في نشرةِ الأخبارِ:

«(أبو آذان) يعترفُ بقتله مئات الضحايا المغدورين!»

شجرةُ التوت

عالمه الفريد لا يشبه أيَّ عالمٍ، يبحث عن ضالته في أرضٍ شاسعةٍ لا تحدُّها سوى أحلامِه الغضَّة، التي لم تغادر رأسَه وهو يتكأُ على شجرةٍ عاليةٍ، هي هيبة البستان الأخضر الزاحف نحو حافة أمنياته.

يسندُ جسدَه النحيفَ عليها متأملًا ما ستبوحُ به أيامُه القادمةُ... إنَّه يخوضُ في لُجَّةِ البحثِ عن ضالةٍ لا يعرفُ مداها، ولا متى ستجيبه إلى ما يرنو إليه.

مَرَّت خمسَ عشرةَ سنةً على تركِ السيجارةِ متباهيًا أمام أصدقائه... في جلسةٍ جميلةٍ بين الزهور والحشائش الخضراء ألحَّ عليه أحدُ المدخنين أن يدخِّنَ واحدةً فأنَّها لا تضرُّ والجلسةُ ممتعةٌ... وافق بعد إلحاحٍ طويلٍ، فكانت كفيلةً لبداية مرحلةٍ جديدة مع التدخين حيث أصبح مدخنًا ثانيةً.

مات جدُّه، وكانت المصيبةُ أشبهَ بالكارثة للمنطقة التي يسكنها، حزنَ عليه الصغيرُ والكبيرُ، القريةُ جميعُها كانت في ذلك التشييعِ

المهيب... كان طفلًا في سنته التاسعة... في مجلس العزاء الذي استمر سبعةَ أيامٍ، كان يخدمُ المعزِّين بتوزيعِ السجائرَ بأنواعها المختلفة، منها الأسودُ، وهناك أنواعٌ أجنبيةٌ، منها بالنعناع، وأخرى بطعم الكاكاو، كان يحملُ (صينية) فيها العلبُ مفتوحةً كي يختارَ المُعَزِّي ما يدخنُ منها.

بعد كلِّ جولةٍ يخبئُ بعضًا منها، وبكلِّ أنواعها ليصبحَ ما يخبِّأُه علبةً كاملةً داخلها أنواعٌ مختلفةٌ.

ما إن يجدَ فرصةً حتى يذهب للبستان، بين الأشجار العالية، وتحت شجرة التوت التي كانت أكبر الأشجار، يدخِّنُ سرًّا، كانت بداياتٍ له فقط... استمر مجلسُ العزاءِ سبعةَ أيامٍ، وبعدها جاءَ دورُ الأربعين، وقبلها كل خميس يومٌ خاصٌ للثواب وذِكْر المُتَوَفَّى ليتكرَّرَ الموقفُ ويشاطرهما البستانُ لحظتهما السرية.

انتقل إلى المرحلة المتوسطة، وكانت قرب بنايةِ المدرسة غابةٌ تتشابك فيها أغصانُ الشجر، فصنعت ممراتٍ تحتها لتكون أنفاقًا، كانت ملاذًا للعب تحتها مع أصدقائه، وما ميَّزَ الأنفاق تلك أنَّها كانت تحتضنُ سرَّهم، أعمارهم كانت صغيرة، وبنفس الوقت لا يستطيعُ شراءَ علبةً واحدةً، يتقاسمُ سيجارةً واحدةً مع

خمسةِ أطفالٍ وأكثر في أيامٍ مختلفة... كان يهربُ متسلقًا سياجَ المدرسةِ؛ لأنَّ المديرَ كان يضعُ الأقفالَ على الباب الأمامي؛ لأنَّ الحربَ كانت قائمةً، والحذرُ واجبٌ، وهناك شَحَّةٌ كبيرةٌ حتى لدى المدخنين الكبار، بلغ عمره الثلاثة عشرة... في موقف له اشتاق للتدخين... جمعَ أصدقاءَه المدخنين فقسَّموا أنفسَهم إلى مجموعاتٍ، كلٌّ منها تذهب في اتجاهٍ يبحثون في أرصفة الشوارع عن بقايا سيجارةٍ واحدةٍ تركها صاحبُها وفيها نَفَسٌ أخير يكفيهم جميعًا، هذا المشهد كان يتكلَّم به الجنودُ في المجالس عندما ينزلون في إجازاتهم، وهو يستمع لهم، وأحدهم يقول:

- كنا نجمع ورق «الرايز»، وهو الخاص بالطباعة، وورق الصفصاف، وندخِّنُ منها.

وذكر موقفًا أثَّرَ فيه كثيرًا، حيث لم يجد صفصافًا، فوجدَ بقايا نفايات الحيوانات (الروث)، لكنه كان يداوي عطشه لنَفَسٍ واحدٍ من التبغ الذي سمَّمَ بدنَه.

كان يخفي العلبةَ في ملابسه الداخلية، ويدفنها خارج الدار أو فوق السقف، كانت حياتُه بسيطةً، ومن عائلةٍ كادحةٍ،

ومصروفُه الخاص غير كافٍ لشراء علبةٍ كاملةٍ، مع أنَّ الباعةَ يبيعون مفردًا من العلبةِ الواحدة... ومن باب الخوف والاحترام ظلَّ يخفي تدخينه، فحتى الكبار لا يدخنون أمام كبيرِ العائلة احترامًا له!

كبرَ وحانَ موعدٌ يُساق فيه للخدمة العسكرية... لم تكن خدمته طويلة لأنَّه قد تخرَّج في المعهد، ثمانيةَ عشرَ شهرًا لا غيرها... وكانت هناك حصةٌ للمدخنين تُسَلَّمُ مع الطعام، وأصبح له راتبٌ شهري...

أجملُ أوقاتٍ يحتاجُ فيها للتدخين كانت أثناء الواجبِ في نقطة الحراسة الذي يُقسَّمُ إلى ساعتين، وأكثر ما يخشاه الجنديُّ الوقتَ من الساعة الثانية إلى الرابعة صباحًا، حيث لا نومَ يستمرُ في الليل إلى الصباح، الذي سوف ينهيه النداءُ إلى التجمع عند الفجر، ويسمَّى بالتعداد الصباحي.

خدمَ في منطقةٍ صحراوية على الحدود تسمى «القائم»، كانت سيجارته تشاركه ذلك المنظر الصباحي، حينما تعكسُ الشمسُ أشعتَها على الرمالِ الزجاجيةِ اللامعة، كأنَّها نجومٌ على مدِّ البصر، والعشب الأخضر الذي ينبت هنا وهناك وعلى سفوح التلال...

تنقضي الأيامُ ليجدَ نفسه وحيدًا يتنقلُ من مهنةٍ إلى أخرى، ومن عملٍ إلى آخر طلبًا للرزق، حتى حانت له فرصةُ التعيين فأصبح معلمًا.

تمرُّ الأيامُ ليدركَ أنَّه أدمن التدخين؛ لأنَّ ثلاثةَ علبٍ في اليوم الواحد كارثةٌ كبيرةٌ في الصحة، والمال الذي ينفقه بعد أن أصبحت لديه عائلةٌ وأطفالٌ... الحياةُ تتغيرُ بين ليلةٍ وضحاها وتغيِّر مصيرَ الإنسان.

بعد أن استقرَّ في عمله الجديد خدمه الحظُّ ليكمل دراسته الجامعية، وفعلًا كان الحظُّ جميلًا معه... بين عمله الصباحي ودراسته المسائية في الجامعة أصبحت السيجارةُ لا تفارقُ أصابعَه... كثيرًا ما كان لا يأكلُ شيئًا حتى المساء، مع تدخينٍ مستمرٍ، أصابعه لا تستقر، وصحته تسوء، وجسمه أصبح نحيلًا جدًا.

في أروقة الجامعة، الحياة الجديدة، عرفَ الكثيرَ... أغلبُ الفتيات يعتمدن عليه في بعض الواجبات، عند حضوره تُشكَّلُ دائرةٌ حوله من الفتيات، كانت واحدةٌ منهن قد تضايقت جدًا من رائحةِ جسدِه المتلبِّسةِ بالتبغ... فسحبته جانبًا لتقول له بامتعاضٍ إنَّ رائحتك لا تطاق!

كانت صدمةً قاسيةً له ليعيد حساباته وما أصابه... فكر بزوجته التي تحمَّلت منه الكثير ولم تشتكِ... قاومَ بعنادٍ رغبتَه لها وعشقه، ووضع بين عينيه كلَّ الأصدقاءِ، وحتى من كان يرافقهم في الطريق، ومن يجالسهم في غرفٍ مغلقة أو مزدحمة... عاد إلى شجرة التوت... مد يده إلى جيبه أخرجَ العلبةَ فوجدَ فيها سيجارةً واحدةً طواها ورماها بعيدًا... ليقرِّرَ ترك التدخين.

أسندَ جسدَه النحيفَ إلى جذعها بعد أن عرفَ ما يريد.

المقعدُ خالٍ

لفحتني الشمسُ بحرارتها التموزية، فالتهب جسدي وصار يَنِزُّ عرقًا... تأخَّرت الحافلةُ، فزاد لهيبُ الانتظار عندما لمحتها تقترب، ركضنا نحوها ، فصعدتُ لاهثًا... جلستُ بعد طول انتظار.

رغم عدم راحتي في جلوسي، وهو شعور أحسستُه منذ أول لحظةٍ، لاسيما أنَّ المسافةَ طويلةٌ جدًا، جلس بجواري رجلٌ كبيرُ السِّنِّ، تبادلنا الحديث... فعاد بنا إلى سنواتٍ خلت، حيث قصص الحرب، وتحديدًا إلى عام 1985، كان يروي بحرقةٍ وحرارةٍ عن رحلته القاسية، عندما غادرَ البلاد ولم يلتقِ بعائلته إلى ما بعد 2003. كان متلهِّفًا لمقابلة عائلته لسنوات طويلة، وهم يعتقدون أنَّه قُتل في الحرب...

توقَّفَ عن الحديث وهو يمسحُ على لحيته بحزنٍ... بعد دقيقة صمت واصل كلامه:

- «كنتُ جنديًّا أخدمُ في إحدى المناطق والحرب قائمةً، جاء أمرٌ بنقلنا إلى الخطوط الأمامية، حيث الموتُ قريبٌ جدًا منا، كنت

مع زملائي كمجموعة استطلاعٍ في الأرض الحرام... الموتُ حتميٌّ ومؤكَّدٌ أمامنا؛ فالذي يتراجعُ يُعدَم... يحيط بنا الموتُ من كلِّ جانبٍ... كان خياري صعبًا جدًا، بين الموت أو الهروب من الخدمة العسكرية، لكن لا فرار فهناك فرق، الموت أو مصيري الإعدام، حتما منه قررت أن أترك هذا الوطن... ظلَّت الفكرة تكتمل في داخلي مع كلِّ واجبٍ نقوم به...

- ذات مساءٍ حانت الفرصة، كان واجبنا تأمين الخطوط الأمامية. في الساعة الثالثة صباحًا حيث كان الضبابُ كثيفًا، ومن حسن الصدف أنَّ الضابط المسئول عن العملية كان مُجَازًى، وحل العرِّيفُ مكانه. بعد انتهاء المهمة جاءَ أمرُ الانسحاب والعودة. قلت في نفسي إنَّه الوقت المناسب، فبعد أن قطعنا مسافةً في طريق العودة أخبرتُ العرِّيفَ بأنِّي نسيت ساعتي هناك وأريد الرجوع لجلبها، لم يوافق، لكن أمام إصراري وإلحاحي الشديدين على أنَّها تحمل قيمةً كبيرةً عندي- فقد كانت لجدي وأبي من بعده- وافق العرِّيفُ، وقال:

- اذهب! سوف ننتظرك هنا، لا تتأخر! كانت فرحتي كبيرةً، و كان خوفي أكبرَ؛ فالمجهول ينتظرني، ولا أعرف ما هو مصيري!!

عدت إلى ذات المكان الذي كنا فيه وبعد أن ابتعدتُ مسافةً كافيةً عنهم، وقفتُ متحيِّرًا، وبعد عناء تفكيرٍ اخترتُ مكانَ مرابض المدفعية، التي اعتدتُ سماعَ دويِّها نهارًا واتجهت صوبها.

اخترقتُ الظلامَ الدامس، والضباب، وبرودة الجو، والخوف الذي تملَّك أوصالي... كنت أشعرُ بأنَّي قريبٌ منهم جدًا، إلَّا أنَّني لم أرَ شيئاً، ولم أسمع أيَّةَ حركةٍ، كنتُ قد سرتُ ثلاثة كيلومتراتٍ نحوهم... بدأتُ أصرخُ بصوتٍ عالٍ:

- أريدُ الاستسلام... أين أنتم؟

لم أسمع ردًّا ولا صوتا، كنتُ أتوقعُ أنَّهم سيطلقون النارَ عليَّ في كلِّ لحظةٍ.

توقفت الحافلةُ لنزولِ أحدِ المسافرين فسكتْ عن الحديث، تناول قدحَ ماءٍ، ولم يرتوِ فأخذ آخـرَ... انطلقت الحافلة من جديد... كان الطريق الذي تشقُّه الحافلةُ مخضرًا، تتخلله جبالٌ بعيدةٌ عاليةٌ...

لكنَّه ظلَّ ساكتًا يمسحُ بلحيته ويبلُلُ شفتيه اليابستين... كنت أصغي له متلهِّفًا لسماع النهاية، فطلبت منه أن يكملَ حديثه، رفعت رأسي، كان سائقُ الحافلة ينظرُ عبر المرأة، أيقنتُ أنَّه كان مصغيًا

للقصة، تملَّكني الخوفُ حينها من عدم انتباهه للطريق، لكنِّي متشوقٌ لسماع قصة الرجل الذي قال:

- نعم، حينها وجدتُ نفسي وحيدًا بين الظلام، والضباب، والخوف من كلِّ شيءٍ، لا أعرف أين أنا؟ وأين سأكون؟ قلت في نفسي: أنا ميت في كلِّ الأحوال. شعرتُ بأملٍ يدبُّ بداخلي، ولم أعد أصرخُ مرةً أخرى...

- لحظات وإذ بي أسمعُ صوت البنادق وأجزاؤها تسحب، شعرت بقشعريرة تسري في جسدي، كاد قلبي أن يتوقف، كنت هَلِعًا ومرهوبًا.

صاح بي أحدُ الجنود وكان يعرفُ العربية:

- أهلًا بك أخي، تقدَّم!

وهو يتقدَّم نحوي حتى شعرت بالأمان... أجلسوني في مكانٍ قريب، وقد حضرَ المترجمُ ومعه أحد الضباط، فعندها نقلوني إلى سجن في منطقة أخرى بعد أن قصصتُ عليهم ما جرى لي.

قضيتُ أربعةَ أيامٍ داخل السجن، ثم بدأ التحقيق، حيث كان المحقِّق ضابطًا من إحدى الدول العربية، وكان شديدًا معي، لم يصدق حكايتي، واتهمني بالتجسس.

فشلت كل المحاولات لإقناعه، حينها تم نقلي إلى سجنٍ آخرَ أكبر بكثيرٍ لعتاةِ المجرمين والقتلة من النظام السابق للحكومة في هذا البلد... لم أتحمَّل جوَّ السجن، وفي اليوم الخامس قمت بالصراخ:

- أنا من جئتكم هاربًا من الظلم والموت، اليومَ أظلمُ؟

بعد أن وصل أمري إلى مدير السجن قرَّر تحويلي إلى سجنٍ آخر...

قاطعتُ الرجلَ بعد أن أخرجتُ سيجارةً، وأشعلتها له، وأنا أنظرُ للسائق، خشيتُ أنَّ عينيه زاغتْ عن الطريق، فقلت له:

- أكمل!

فقال:

- عند دخولي وجدتُ أنهم مِنْ شاكلتي، ويتكلمون العربية، كنتُ سعيدًا جدًا أنهم أربعةُ سجناء، عرفتُ أنَّهم يشاركوني نفس المشكلة والطريقة... طال الأمرُ بنا، في تلك الفترة كان الحارسُ يعرفُ العربية، ويتكلم معنا أحيانًا، فقال لنا ذات يومٍ:

- أأخبركم طريقةً، ولا تخبروا أحدًا عني؟! وإلَّا سوف أعاقبُ بشدةٍ!

وافقنا جميعًا... في اليوم التالي فعلنا ما قالَ لنا وقمنا بالتظاهر والاعتصام، وعندما جاء الأكلُ لم نأكل، حينها قامت الدنيا ولم تقعد! حضرَ مديرُ السجن والقائد هناك، ومسئول البلدة، وكبار الضباط، قلنا لهم مطالبنا وطلبوا منا الصبر ليومٍ آخر...

وفعلًا، تم تحويلنا إلى مكانٍ آخر أكثر راحةً وحريةً...

عرض علينا راتبًا شهريًّا مقابل العمل مع جهةٍ سياسية معارضة لبلدي... حينها كانت عائلتي تعتقد بأنِّي مقتولٌ، لم أرهم ولم يروني، أو يسمعوا عني خبرًا... عدتُ إلى بيتنا بعد عشرين عامًا، طرقت الباب...

صمتَ وغرقَ في سكرةٍ متنهِّدًا، وأكمل:

- وجدت أمِّي، وأختي، وإخوتي، قد توفُّوا جميعًا، ولم يتبقَ لي أحدٌ بعدهم في الحياة... بعد أن تمالكتُ نفسي زرتُ قبورَهم بصحبةِ أبناء أخي...

خرجتُ من المقبرة وأنا أفقدهم مَرَّةً أخرى، لكن هذه المرة إلى الأبد، عدتُ إلى زوجتي وأبنائي في البلد الآخر لنحتفلَ جميعًا بتخرُّج أحد أبنائي في الجامعة...

قبل أن تصلَ الحافلةُ إلى نهاية الرحلة، أرجعتُ رأسي على حافة المقعد، وأنا أعيشُ مع قصة الرجل، ذهبتُ في نومٍ عميقٍ، حتى توقفتْ الحافلةُ عند وصولها للمحطة الأخيرة...

نظرتُ بجانبي وإذ بالمقعد خالٍ!

نهضتُ باحثًا عن الرجل في أرجاء الحافلة، ومن خلال النافذة، فلا أثر له!

زحفت الظلمةُ على المكانِ برمَّتِه إيذانا بليلٍ طويلٍ قادم.

أريدُ زمني!

لم ينم ليلتها، استحوذَ على تفكيره ما حدث، ما إن يتجاهل الأمرَ حتى تُعاد إليه الصورُ متهافتة، يبحثُ عن تفسيرٍ لما جرى، إنَّه لأمرٌ رهيب، كيف صادف أن ينتقلَ إلى زمنٍ آخر، إنَّه حلمٌ، وأيُّ رجلٍ هذا الذي نقله إلى زمنٍ آخرَ غير زمنه؟! لابد أنَّه من الخوارق!

كل ما يعرفه أن ما حدث ليس حقيقةً، حتى أنَّه لم يستطع إخبارَ أحدٍ لأنَّه، ومن المؤكد لن يصدقه.

تُعاد إلى رأسه الصور مرارًا وتكرارًا، وهو يبحث عن الأسباب، ويريد أن يستوعب الأمر. عاد بذاكرته إلى المكان، وتلك الحديقة التي كان يجلس فيها قبل أن يصادفَ الرجلَ العجوز.

فعندما كان يجلسُ متأملًا ما حوله من أشجارٍ وطيورٍ، أخذ يقارنُ حياته البائسة مع حياة العصافير، لينتقل ملاحقًا الفراشات، ويحسدها على حياتها الجميلة، وهو يتذكر مرارة الحياة وما حدث له فيها.

فيمر رجلٌ عجوزٌ، ويقطع عليه تأمله ويطلب منه مساعدته في فتح حقيبته التي كان يحملها فتكون سببَ تعارفهما وجلوسهما معًا، تبادلا الحديث، ليكتشف أنَّ العجوزَ رجلٌ طيبٌ، وصاحبُ ابتسامةِ تمنحُ الأملَ، وكان مريحًا جدًا. حتى طرح الرجل موضوع الحياة، وما دار بينه وبين الفراشة والعصفور، ثم سأله العجوزُ:

- هل ترغب في الانتقال إلى زمنٍ آخر؟

لم يمر السؤالُ مرورَ الكرام، حيث اعتقد أنَّها مزحةٌ، فأجاب:

- نعم أريد.

وكرَّرَ بلهفةٍ:

- نعم، أكيد أريد ذلك.

فأخرج قنينةَ ماءٍ من حقيبته، وطلب إليه أن يشرب منها. بعدها حدث أمرٌ رهيبٌ.

وجدَ نفسه في زمنٍ غير زمنه، وحياةٍ مختلفةٍ أُعجِبَ بها للوهلة الأولى... لم يجد مواجعَ الحياة وقسوتها... الناسُ على فطرتهم الأولى.

تهاوت عليه الأمورُ بين مرضٍ وجوعٍ، وبين حروبٍ وفقرٍ. رأى أنَّ الإنسان بلا قيمة، وكلما مَرَّ عامٌ تتعقدُ الحياةُ وتعود المواجعُ، كلُّ ما يتمتعون به هو الإيمان بأن اليوم قد انتهى أو شارف على الانتهاء، فأخذ يقارن بين الزمنين، وكلاهما سيئ، ولكن هناك سيئًا أفضل، والقناعة بما نملك وما تحت أيدينا، ونحن أفضل ممن سبقنا، ومن يأتي أفضلُ منا، فجلس وهو يصرخ:

- أريدُ زمني! أريدُ زمني!

فَزَّ من نومه ضاحكًا، بعد أن سقط عن فراشه.

انتحار

عينان زرقاوان، بلون السماء، والشعرُ أصفرُ كخيوط الشمس، ورثت الطولَ الفارع عن أمِّها، لكنَّها حبيسة الدار. مثل عصفور جميل وُضع في قفصٍ، كما حال أمها وأختيها الصغيرتين. الأبُ قصيرُ القامة، كانت زوجتُه أطول منه بكثيرٍ، يتجنبه الكثير من الجيران لعصبيته المفرطة.

لم يكن البيتُ كبيرًا جدًا كي تختفي فيه البنتُ الأكبر فجأة، فتَّشت الأمُّ عنها بعد أن نادت عليها كثيرًا، لكن لم يعد لها أثر. كان صباحًا موحشًا، كالعادة يستيقظ الأبُ المتسلِّط بالصراخ صباحًا، فيخلق جوًّا مرعبًا، وكثيرًا ما ينتهي بالضرب والإذلال والمهانة، فيخرج للعمل مقفلًا الأبواب من الخارج. عرفه الجميع بمزاجه الحاد، وافتعاله لأيَّة مشكلةٍ، ليبدأ العراك وكثيرًا ما يُخرِجُ سلاحه، ولا يتردد في إطلاق النار في أيَّةِ لحظةٍ. كما حدث مع الذين يمرُّون من أمام بيته، حيث أخرجَ سلاحَه، وأطلق وابلًا من الرصاص فوق رءوسهم لمنعهم من المرور.

لم تظهر الفتاةُ الكبيرة.

أمُّها تبحث داخل البيت المقفول بابُه من الخارج فجأة!

وبعد عناء البحث تعالى صراخها، وهي ترى ابنتها ممدَّدة على أرض الحمام دون حـراك، وكانت زجاجةُ سمٍّ قاتلِ القوارضِ بجانبها .

المرأة

حلمهما يتحقق بعد سنواتٍ يعود حبُّهما من جديد... أبناؤها منعوها من إعلان زواجهما ليكون سرَّهما الكبير... اكتفيا بورقةٍ، تشهدُ على زواجهما، ويكون موعدُهما الأسبوعي غرفةً استأجراها.

تتهاوى السنين وتذوب... وهو يقفُ أمام المرأة... ينظرُ إلى التجاعيد، والشيب الذي ملأ لحيته وشعره... فتعود به اللحظة إلى زمنٍ ماضٍ...

قبل أربعين عامًا... كان قلبه ينبض بالحبِّ... حنينه لذلك الحبِّ الكبير الذي جمعهما جعله يسترجعُ اللحظات حتى تركته وتزوجت من آخر... لم تكن هذه الأفكار وحدها تدور برأسه، فبعد مقتل زوجها في الحرب وزواج أبنائها أصبحت وحيدة.

بعد أربعين سنةً كان لقاؤهما الأول قد أعاد لحبِّهما الحياةَ، وأعاد أيامهما الأولى... كانت ظروفُه صعبةً مع زوجته الأولى بعد إحالته إلى التقاعد... فجعلت حياتَه جحيمًا بسبب غيرتها التي

لم يعد يطيقها، فبدت كمن فقدت عقلها... ظلَّ حلمُه أن يجمعه مع حبِّه قفصٌ صغيرٌ، ليعيشا كبلبلين يغنيان بسعادة، وتحيط بهما أمنياتهما البسيطة...

يعود إلى المرأة... فيرى الملامحَ ذاتها بشيبها وتجاعيدها، إلَّا أنَّه عاد صغيرًا كبلبلٍ يغرِّد مسرورًا.

الشبح... ذلك النهار

أرضٌ مقفرة مهجورة كمقبرة موحشة.. من يحيطون بها من الناس يخشون الاقتراب منها؛ لأنَّها كما يعتقدون تضم أشباحًا تظهرُ ليلًا تخيفُ كلَّ بشرٍ قريبٍ أو بعيدٍ، وهي تضيءُ بمصابيحَ صغيرةٍ مبعثرةٍ... إنَّها أرض الخوف والموت.

كان مالكها يقول أنَّها أرضُ الأجداد، التي ورثها ولا يبالي من الناسِ وأقاويلهم، فعندما جاءه خبرُ مقتلِ ولدِه في المدينة، تأثَّر كثيرًا وأهمل زراعتها، وأهمل عائلته معها، التي كانت تعيش أجواءً تملؤها الغرابه، كان لا يسمح لهم بالاختلاط مع الجيران أنَّهم يعيشون خلف أبوابٍ مغلقة. له بناتٌ أربعةٌ وثلاثةُ أبناء، البناتُ جميلاتٌ جدًا مما جعله يمنعهن من الخروج، ونادرًا ما كان الجيران يرونهن حينما يضطر لإخراجهن لمراجعة طبيبٍ، أو لعملٍ مهمٍ.

مقتل الابن الأكبر جعل الأقرباء يتردَّدون لزيارتهم، فطلب أحدُهم يدَ الوسطى منهن. كان زواجًا طبيعيًّا ليطلق للباقيات

الحرية، لكنَّ الطيرَ المحبوس لا يعرف البريَّة جيدًا، كانت حريةً في غير مكانها.

زاد الحديث والأقاويل من الجيران؛ لأنَّهم كانوا يشاهدون العديد من الشبان، وهم يتسللون قرب جدار البيت، وكانت فرصةً حينما يكون الأبُ والأبناءُ خارج الدار للعمل، كانت الأمُّ تساعد زوجها في الأرض وزراعتها ليتركا البنات وحدهن لمدة طويلة. أثمرت هذه الحرية عن زواج البنت الكبرى.

ظلَّ الكثيرُ يتحدَّث عن الضوء الذي يظهر في المزرعة المهجورة، وتلك الأشياء التي ليس لها تفسيرٌ سوى وجودِ أشباحٍ فيها. الابن الأصغر كان يثرثر بأنَّ سبب هجر الأرض هو الخوف من الأشباح التي شاهدوها عندما كانوا يعملون فيها.

زوج البنت الوسطى كان جنديًّا يتغيبُ أيامًا عن البيت ليترك زوجته مع طفلها الوحيد.. ذات يوم عندما همَّ بالالتحاق مع صديقٍ له كان الأقربَ من بين أصدقائه، والذي يتردَّدُ عليه دائمًا.

عند وصولهما إلى محطة الحافلات اعتذرَ صديقُه عن مرافقته هذه المرة، أكمل مسيره، وعند وصوله إلى نقطة التحاقه شعرَ بتوعكٍ وقرَّرَ العودة هو الآخر إلى البيت. وعند وصوله إلى داره

متعبًا متوعكًا... توجه إلى غرفته فأصطدم بمنظرٍ أطاح بجيده المتعب، وكأنَّ سهامًا غُرِزَت في صدره وهو يرى صديقه على فراش الخيانة مع زوجته. فأقفل الباب من الخارج، وهرول مسرعًا لاهثًا إلى أبيها.

لم يتردَّد الأبُ لحظةً واحدةً بسحب السكين، واتجه هلعًا يصرخ في سرِّه، فانهال عليهما بوابلٍ من الطعنات في جسديهما، لكنَّ البنتَ أبقاها قدرُها حيَّةً، ومات الشابُ على الفور. ولأنَّها قضيةُ شرفٍ سُجن ستة أشهرٍ فقط.

عند خروجه من السجن أخذوا عليه تعهدًا بسلامةِ البنت وعدم التعرُّض لها ثانيةً. بعد مدةٍ أخذ الجيرانُ يتحدثون عن فتاةٍ بيضاءَ كالقطن لم ترَ الشمسَ، وهي تلوذ خلف خزانةِ الملابس عندما يكون هناك زائر. بعد سنةٍ يحترقُ البيتُ عن آخره، فيهبُّ الجيرانُ يخرِجُون ما يستطيعون من أثاثٍ... لكنَّ الفتاة لم تكن موجودة وسط استغراب وذهول الناس، الألسنُ ظلَّتْ تحيكُ قصةَ قتلها ثانيةً من قِبَل أبيها...

أيقن الجميع بأنَّها عادت إلى قطعة الأرض شبحًا.

رصيف المحنة

في كلِّ غروب، يعود الأب من يومٍ حافلٍ... يرجع كما في كلِّ إيابٍ من جلوسه على رصيف المحنة يبيعُ المحابسَ والأحجار، مهنةً أُجبر عليها!

أولادُه يراهم يكبرون، مهما قست الحياة هناكَ يومٌ جديد، لم ينسَ السجودَ كلَّ يومٍ بعد نزول الشمس... لا ينتهي يومه بسهولة، يحتاج إلى الحمد والشكر... حطَّ الليلُ على المكان، وضع الوسادة خلف ظهره، وهو يتأمل بيته الذي أنهكه بين تغير المكان والإيجار، يحمل خوفه من المستقبل...

مرَّت محنةٌ بعد أخرى، رفعَ بصرَه نحو القمر (الربُّ يحمي العيال، والجسد للوطن) لم يكن نائمًا عندما لدغ العقربُ كفَّه، قفزَ مذعورًا، ونظر لشقٍّ تحت الجدار من ضوء مصباحٍ باهت، انسحب العقرب متفاخرًا، بلون التراب... غاب عن الوعي قليلًا، فتح عينيه فوجد عائلته تحيطُ به أقمارًا تنثرُ ضوءَها دموعًا صُبَّتْ... يشهد ولدُه الكبير دموعَ والده وهو يستمع لنشرة الأخبار، خرجت

العقاربُ من شقِّ الجدار تلدغُ من كلِّ صوبٍ وحَدَبٍ، تسلَّل الابنُ الأكبر واختفى، يمرُّ يومٌ وآخرُ، والخوفُ يُدَاهِمُ قلبَ الأب، حيث رأى ولدَه يحتضن سلاحًا ويردِّدُ:

- ابتاه، لو كنتُ ملفوفًا بقماش الشرف لكنت أكثر سعادةً! لا أطلبُ من هذه الحياة سوى رضاك! نعم ذهبت. اسمح لي! فقد فعلتها خوفًا أن تمنعني.

بكيا فرحًا، قبَّله على جبينه... دارت رحى الحرب وانجلت غبرتها، رجع الابن موشَّحًا بغبار المعارك، عاد لعربته بائعًا للخضار، يسعدُ قلبَ أبيه العاجز.

حلَّ الأمنُ، وشُفِيَ الجرحُ، وانسحبت العقاربُ إلى ذاك الجدار، لكنَّ عقاربًا أخرى بلونٍ آخرَ خرجت، لتفتخرَ بالنصر، وهي تلدغُ كلَّ من يواجهها... بدأت بالابن حينما حطَّمت عربته، ونثرت الخضار ليجلس على أطلالِ خرابها، يعود رأسه إلى تلك البطولات بصورٍ ومشاهد كانت تختفي مع غروب الشمس... عاد إلى بيته مكسورًا محسورًا، فلا أبَ بانتظاره! كان الأبُ ممدَّدًا على سرير الموت. أسندَ جسده على الجدار فحامَ حوله صوتٌ يخبره أنَّه عادَ بلا أبٍ، ولا وطنٍ.

رمل

أبحثُ عنِّي... أكشفُ حباتِ الرمل عن بعضها... تعود كما كانت كلَّما ركبها الموجُ... إن خرجت واحدةٌ، سحبها السيلُ الجارف بين مدٍّ وجزرٍ بعيدًا!

تركتُ الرملَ لأنظرَ إلى أصابعي المكشوفة تصنع أثرًا ما إن رفعتها من مكانها... حباتُ الرمل تتشكَّلُ، وتغيِّرُ شكلها للناظر، لكنَّها لم تتغير فهي باقيةٌ حبةُ رملٍ.

عريس

اقترض ثمن الرصاصات... إنَّهم ينتظرونه عند الحدود... ترك عروسًا دخلت للتوِّ غرفتها الجديدة...

الأمُّ ترشُ الماء خلفه، إنَّها عاداتٌ قديمةٌ حين تودِّع ولدَها الوحيدَ.

عند باب البيت... قدماه تسابق الخطوة، وعيناه تودعان الغرفَ والجدران، والأمُّ بعبرتها المخنوقة.

على الحدود موضعٌ ينتظر وجودي يصمُّ الآذان.

مع أولِ غروبٍ عادَ بلا رأسٍ.

عاد من الموت

حياة القرية تختلف كثيرًا عن الحياة في أيِّ مكانٍ آخرَ... تشرقُ الشمسُ لتعانق أشعتُها أوراقَ الخضرة... يتسابق الجميع للوصول إلى حقولهم التي كانت تزهر بألوانٍ جميلة... فجأة تناقل الأهالي خبرَ مقتلِ شابٍّ في الحرب!

سمعت القريةُ كلُّها الخبرَ... ترك الجميعُ حقولهم، ليتجمع رجالاتُ القرية في بيت والد المقتول... كان مُصابًا كبيرًا لهم... وبسبب الحرب لا يوجد وقودٌ كافٍ للوصول إلى المدينة لنقل الجثمان... السكانُ يُخرِجُون الغازَ المسال من الأسطوانات ليضعوه وقودًا في السيارة... تبرَّع الناسُ بما لديهم من خزينٍ، وكان يُجمع في إناءٍ كبيرٍ يخبؤنه داخل حمام البيت.

قرَّرَ شقيقُ المقتول السفر صباحًا، بعد أن أصبح لديهم وقودٌ كافٍ، فيما كانت القرية حزينة يترقَّبون وصول الجثمان... وعند المساء أراد والدُ المقتول تفقُّدَ ما تم جمعه، ليتوجَّه إلى الحمام حاملًا فانوسه، لكنَّه لم يصل إليه!

بعد انفجار الوقودُ المدوِّي مات الرجلُ مع آخرين كانوا معه... ذهلت القريةُ من الصدمة، في الصباح تم تجهيز الجنائز لنقلها إلى المقبرة.

من بعيد لمحوا سيارةً تقترب... صمت الجميعُ بذهولٍ، وهم يرون الشابَّ الذي قُتل في الحرب يترجَّلُ من السيارة.

طفلةُ الشاعر

لم يكن الشارعُ وقت الظهيرة مزدحمًا. رجلٌ كبيرٌ مستلقٍ، وبجانبه طفلةٌ جالسةٌ.

اقترب رجلٌ يرتدي بدلةً عسكرية، فطلب مني أن أساعده. اقتربنا وأنا أنظرُ إلى لوحةٍ فنيةٍ، حيث يحتضنُ الشارعُ المسنَّ والطفلةَ في مشهدٍ لا يتكرَّرُ في الحياة.

الطفلةُ لا تدركُ أنَّه بلا حركةٍ، ويُخَيَّلُ لها أنَّه نائمٌ.

شكَّ العسكري بالأمر... حرَّكه، لم يتحرك! قال لي... إنَّه ميت!

الطفلة تنظر إلينا ببراءة ولم تعِ ما يدور.

بحثنا في أغراض وجيوب الرجل... أخرجنا مجموعة أوراق، عرفنا بأنَّه شاعرٌ معروفٌ. لكنَّ عيني التقطت ورقةً صغيرةً كتب عليها: «بصل، وطماطم، ولا تنسى الخبز!».

رسالةٌ أخيرةٌ

كانت نهاية محزنة له... فتاتُه تتزوجُ من رجلٍ آخرَ، لتنتهي علاقتهما الغرامية نهاية مفجعة له...

مرت الأيام ككابوسٍ ثقيلٍ ليصحو منه متزوجًا هو الآخر...

بعد سنوات لعبت الدنيا لعبتها لتكون الفتاةُ أرملةً، بعد أن قُتل زوجها في الحرب. وتموت زوجتُه ليترمَّل بعد زواج عشرين عامًا...

مَرَّةً أخرى هما وجهًا لوجه، يجتمع حبُّهما من جديد ليقترنا بعد عودة قلبيهما إلى نبض الحبِّ الجارف.

في لحظة صفاءٍ وانسجامٍ طلب منها أن تحدِّثه عن زوجها الراحل.

وما كان منها إلَّا أن تخرج صندوقًا قديمًا يحوي رسائل زوجها السابق. بفضولٍ يطلب منها أن يرى آخرَ رسالةٍ له، رفضت لكنَّه ألحَّ عليها.

بعد أن فتحَ الرسالةَ تخيَّلَ أن زوجها يخرج من بين الأسطر مرتديًا عباءة بيضاءَ أمامه، ليوصيه بزوجته متوسلًا، ثم يتلاشى عائدًا للورقة.

أخذ الرسالةَ ودسَّها في جيبه، ليكتب من كلِّ جملةٍ قصةً كاملةً.

خفافيش

لم يكن يومًا عاديًّا له، وهو يرسل قصته الجديدة إلى المجلة... حيث كان إرسالها بالبريد يستغرق وقتًا طويلًا... كان يشتري المجلةَ ويبحثُ بين صفحاتها، ليس فقط لأنَّ هناك مكافأةً ماليةً، بل ليرى منجزَه الذي يفتخرُ به.

يمرُّ الشهر والثاني حتى أصابه القلقُ... حزم أمره مسافرًا إلى العاصمة حيث مقر المجلة... كان الطريقُ أقل طولًا من الأفكار التي داهمته، لكنه كان واثقًا من نصِّه وإمكاناته... بعد وصوله أخبره المسئول عن استلام النصوص بأنَّه لم يستلم أيَّ نصٍّ له الفترة الماضية.

أخرجَ وريقاتٍ مكتوبةً، وجاهزةً للنصِّ كانت في جيبه... وحصل على موعد النشر الجديد للشهر القادم... يمرُّ أسبوعٌ وهو جالسٌ في مقهى الأدباء، كان هناك أديبٌ معروفٌ قد أنجز مجموعةً قصصيةً جديدةً، ووزَّع النسخ على مَنْ كان حاضرًا... تصفَّح المجموعةَ، وإذ بعينه تقع على أحدِ الأسطرِ الذي شعر

للوهلة الأولى أنَّه توارد خواطر، لكنَّه بعد إعادة القراءة، صُعِقَ حينما وجد نَصَّه بالكامل في هذه المجموعة... عاد من جديد إلى مقر المجلة، فقال لهم:

لقد وجدتُ النَّصَّ المفقودَ هنا في هذه المجموعة!

لكنَّه لم يحصل على إثباتٍ لنصِّه؛ لأنَّه لم يُنشَر بعد، لعلَّه تأكَّد بأنَّ بعض النصوص تُسرق من بريد المجلة الوارد، وتُطبع في مجموعات لأدباءٍ أسماهم «خفافيش»!

خيط

قبل حلول الصباح... الظلمة تحيط بالمكان... تتصارع التنهيدات في صدري... أنظرُ عبر شبابيكَ مغلقةٍ عن بصيصِ ضوء... انشغلُ بالأفرشةِ الناعمة... تفيض تلك الوسادة بالحنين، لم تختفِ منها بقايا العطر!

تعود ترددات أصواتٍ تصدحُ في أذني... أصبحتُ أشمُّ رائحةَ احتراقي... لم يعد يخيفني صوتُ النافذة حينما تُفتح بقوةٍ... تمطرُ غيمتي... ترتعشُ الأطراف... يعتصرُ النظر... أتنفسُ من جديد أروقةَ المكان... يصيبني الخدرُ...

تسرقُ اللحظةَ أشعةُ الشمس... حان وقت الصباح...

ذاكرةٌ متوقفةٌ

ظلَّ يفكرُ، أيَّ مقعدٍ يختارُ من بين المقاعد؟ وهل سوف يكون محظوظًا، لتكون وحدها هذا اليوم؟

جلوسه في موقف الحافلة لساعاتٍ طوال... توقفت الحافلةُ، كان انتظارها يشدُّ الأعصاب... يفتِّشُ عنها من خلف الزجاج، المقعد ذاته خاليًّا كلَّ مَرَّةٍ.

يشعلُ سيجارةً، يسحب نفسًا عميقًا، الموقف نفسه يُعاد منذ لقائهما الأول... علبة السجائر التي ينهيها دائمًا قبل أن يتركَ المكان.

سنواتٌ تمرُّ، وما زالت تسكن مخيلته، دفترها، سكونها، خجلها، إلَّا صورة موتها!

تمرد

عند مظلة الحافلات فارق الحياة... وقف عند رأسه حزينًا مبهورًا... صداقتهما كانت طويلة، ذلك الرجل الذي اختار أن يكون حالمًا غريبًا!

كان يسكنُ إحدى المدن البعيدة... ترك حياته هناك وجاء إلى العاصمة. قرَّر أن يكون صعلوكًا، تمرَّد على ذاته، أطالَ الوقوف قرب الجثةِ الممدَّدة، مرَّت السنواتُ واللحظات الجميلة من أمامه، استعرض كلَّ الأوقات التي قضياها معًا... بحث بين أغراض الراحل، وفي ملابسه فوجد ورقةَ مراجعةٍ لإحدى المستشفيات... كُتب على ظهرها كلمات وكلمات...

وفاءً لصديقه الذي رحلَ غريبًا، نشرها في إحدى الصحف «عصف الجمرة»: «تحت مظلة الحافلات آخر قصيدة للشاعر الذي فارق الحياة».

أمواجٌ هائجةٌ

هرب بخطًى سريعةٍ معاندًا القدرَ، بعد أن أثقلت الهمومُ كاهله... اعتقد أنَّه سوف يتركها خلفه، فنقل خطواته على تلك الرمال المبتلة بماءٍ مالحٍ بصعوبةٍ...

ظلَّ يحدِّق بعيدًا مع الأمواج التي تتصارع للوصول إلى قدميه... لم تمضِ سوى لحظاتٍ، ليجد نفسه وسط ذكرياته الموجعه، التي رماها على الشاطئ... خلع ملابسه... سار نحو العمقِ، فهوى بجسده...

تشابكت الأمواجُ الهائجةُ لتداعبَ أفكاره، التي راح يصارعها ويحاول رميها بعيدًا... لكنَّه اشتاق إلى اليابسة بعد أن شعرَ أنَّه أخفُّ وزنًا.

القبلةُ الأولى

في مساءٍ باردٍ كانت الفتاةُ تحمل شقيقتها الصغيرةَ، وتسيرُ تحت أضواءٍ خافتةٍ إلى بيتها... كان الفتى يناغمها حين طبع قبلته الأولى على خدِّها، ولاذ بالفرار هاربًا كالمسعور... لا يعرف معنى ما يدور في داخله لكنَّه يشعرُ بالسعادة كلما يراها... يريدُ لقاءَها، أو رؤيتَها حتى ولو من بعيد، وإن حانت فرصةٌ لَلَّعِبِ معها فهي أمنية الأماني... كانت الابتسامة تغطي وجنتيها، وهي تلمحه يراقبها، لتصنع تلك «الرصعة» (غمازة)... دائريةَ وجهها التي تشبه القمر، وشعرها الطليق كان يداعبُ مشاعرَه، يشمه... يسرقُ أحيانًا عطرَه.

اعتاد أن يجلسَ بعيدًا، ويختلسُ النظرَ إليها كي يحفظَ صورتها.

سفرٌ إلى الأبد

أسندت ظهرها على حافة المقعد، القطارُ على وشك الانطلاق، كان جلوسها قرب النافذة يعني لها الشيءَ الكثير، أغمضت عينيها قليلًا وهي تنظرُ من خلال الزجاج، في تلك النافذة الكبيرة، وهي تجلس على مقعدٍ اختارته بعنايةٍ، كلُّ لحظةٍ تختلف الصورُ التي تراها أمامها...

كلَّما فتحت عينيها تتغيَّر الصورةُ، فقرَّرت أن تغمضهما، فكانت الفراشات تنفرد في مخيلتها...

طفولتها، وجدائلها، والزقاق، وجيرانها وطيبتهم، ومدرستها بين الكتب، وزميلاتها ذكريات بطعمٍ خاص، حينما فتحتهما من جديد، عادت الصور من نافذتها متوَّجةً بالحقيقة، أحلامها أكلتها النيران، والغربةُ تغزو المكان.

كان منظرًا مفزعًا، أطلال البيوت والخرائب، وكأنَّ المكانَ مقبرةٌ مهجورةٌ موحشةٌ...

قرَّرت أن تغمضَ عينيها ولا تفتحهما، لكنَّ هذه المَرَّة إلى الأبد.

ظلَّ القطار يسيرُ مترنِّحًا تحت وطأةِ أنفاس الناس المتعبة، الذين يبحثون عن محطةٍ ينزلون فيها.

سحرُ مكانٍ

أيقن بأن ذلك المكان يجمعهم... لم يكن البحثُ سهلًا، فقد صادفَ أن يتكرَّر الأشخاصُ والمكانُ واحدٌ، بين الماء والطين تكوَّنت حروفُ الكتابة والإبداع، وهناك قد خُلقت.

قرَّر أن يذهب إلى تلك البقعة، كان بصحبة أصدقاءٍ، حيث اتفق الجميعُ على أن يتمَّ تعميده ليكون أديبًا، قطعَ المسافةَ التي تبعد بحدود أربع ساعاتٍ إلى خمس، لم تكن المسافة بعيدة كونها تتوشَّح بالتاريخ، والجمال، وسحر المكان على طول الطريق... لكلِّ بقعةٍ كانت هناك ذكرياتٌ يحملها كلُّ واحدٍ منهم في ذاكرته، ويذكر أسماءً لها بصمة في الأدب والعلوم المختلفة، قرية بعد قرية، ومنطقة تتبعها أخرى، والحديث يزداد تشويقًا... وتزداد معها لهفته لدخول ذلك المكان... تلك الخضرة التي تحيط بالطريق جعلت للأغاني القديمة حضورًا، ما إن ينتهي الأول من واحدةٍ حتى يعيد الثاني أخرى، والثالث بطورٍ آخر ليتوقف الجميع بصمتٍ غريب، عندما يقتربون من البقعة التي يقصدون...

يتحوَّل الحديثُ إلى تاريخ المدن... ليقول أحدُهم بأنَّ إبراهيمَ عليه السلام، والكثيرَ من الأنبياء حطُّوا أقدامهم بهذه الأرض، كذاك الحديث عن ولادة الحرف الأول، وتسلسل تاريخي لعظماء كانوا قد شربوا من الماء وتزيَّنت أجسادُهم بالطين، وصل الجميعُ إلى حافة النهر ليتحوَّل الموضوع إلى حقيقةٍ، فقد كان على يقينٍ بأن كلَّ مَنْ تعمَّد بالماء والطين من هذه البقعة كان ذا معرفةٍ وعلمٍ...

وبعد مدَّةٍ قصيرةٍ من العودة طبعَ مجموعتَه الأولى... في ذلك المكان أصبح أديبًا.

حلمُ ليلةٍ طويلةٍ

ازدحم عليه العملُ ليصاب بالإرهاق، هندسة المباني ليست بالأمر الهين، صنعت يدُه الكثيرَ من الخرائط لأبنيةٍ مختلفةٍ، لكنَّه اختار الأبنية الإسلامية، قرَّر أن يأخذ عائلته في إجازةٍ للراحة، كان يتابع المباني التراثية والتاريخية؛ لأنَّها عمله وهوايته، بعد زيارة الأضرحة الدينية في ذلك البلد أخذ التعبُ منه مأخذًا كبيرًا.

كان يغطُّ في نومٍ عميق، وإذا به يقفُ مع مجموعةٍ كبيرةٍ في طابور، ينتظرُ دورَه، والأفكارُ الكثيرةُ تشغلُ باله، ما إن اقترب دورُه حتى وجد شخصًا يرتدي لباسًا أبيضَ مع امرأةٍ ذات وقارٍ كبيرٍ وهيبةٍ، تعطي كلَّ شخصٍ وسادةً بيضاءَ، ومفرشًا، حتى وصل دوره، فأخرجت خريطة، وقالت له:

- هذا باب ولدي، وقد شُيِّدَ خطأً، ليكون سببًا لعرقلة دخول الزوار.

جلس من نومه يتأمَّل حلمه، ويعتقد بأنَّ هذه ليست رؤيةً عاديةً، ولا حلمًا عابرًا، بل رسالة!

أخذ يفتشُ عما رأى من بناءٍ في الخريطة، وكأنَّه طُبِعَ في مخيلته، خمسة أيامٍ يبحث فيها عن البناء فلم يجده، اتجه إلى رجال الدين في ذلك البلد فقصَّ عليهم حلمه، لكنَّهم لم يتوصلوا إلى تفسيرٍ، لتنتهي رحلته ويعود لبلده، يفتش عن تلك البناية لكنَّه لم يجدها، بعد مدةٍ يتصل به شخصٌ عن طريق شخصٍ آخرَ، ليقول له:

- نبحث عنك منذ أيامٍ، لأنَّنا نريدُ مهندسًا مختصًّا بالأبنية الإسلامية.

بادر الرجلُ بالموافقة، لكنَّه رفض عرض المليون دينارٍ أتعابه؛ لأنَّه يعتقد أنَّ العمل في بناء الأضرحة له أجرٌ وثوابٌ من الله، لذلك أصرَّ على العمل معهم دون مقابل.

بعد وصفهم للمكان الذي لم يره بعد أوصلوه للمكانٍ، فشاهد البناء من بعيد يقترب، والرجل الذي وصف له المكان يقف بانتظاره عند الباب، وبينما هو يقترب وإذ بصورةِ الخريطة تعودُ إلى مخيلته، البناء الذي يبحث عنه.

يدخل ليبحث عن الباب فتهزُّه الصدمةُ، إذ وجد الباب كما كان مرسومًا في تلك الخريطة، وفعلًا لم يكن موقعه صحيحًا، جلس مع صاحب المكان ليخبره بكلِّ ما حدث، فبادر الرجلُ بالقول:

- نعم، أصرَّ المهندسُ القديم على وضع الباب بهذه الطريقة، وكنتُ أعلم أنَّ موضعه غير صحيح.

ويبدو أن الرجل أنفق كلَّ ما يملك في بناء الضريح، الذي كان له قصةٌ طويلةٌ معه. كانت بدايتها حلم ورؤية، رأى فيها هذا المكان، والقبر، وشعاعًا يتصل بالسماء، وصوتٌ عالٍ يخبره عن صاحب القبر، لكنَّه في الحقيقة شاهد حلمه نفسه يُعاد أمامه، كما كان في المنام وهو نفس الصوت، وبعد أن حفر في المكان وجد صخرةً كبيرةً نُقش عليها اسمُ صاحب القبر، باع كلَّ ما يملك لبناء هذا الضريح، فقال له المهندس:

- وكيف تؤَّمنَ لي المليون دينارٍ لو كنتُ قد وافقت عليها؟

دموعُ الرجل تنهال على خدِّه، وهو يقصُّ حكايةَ الرجل الذي كان مريضًا بمرضٍ خطيرٍ ومقعدٍ، وعندما سمع بالمكان شربَ من ماءِ بئرٍ قد حُفِرَ، وإذا بعد أيامٍ يزورُ المكانَ، وقد شُفِيَ ببركةِ صاحبِ البئرِ، فتبرَّع للمكان، وهناك سيدةٌ من مكانٍ بعيد حملها أبناؤها ملفوفة بشرشفٍ، لا تقوى على الحركة بعد دخولها المكان والتبرك، وإذ بها تمشي، فقالت إن هذا المكان مبارك، لذلك أتبرع ببناء السقف...

قصصًا كثيرةً أخبر بها صاحبُ المكان، فاتجهتُ إلى «النجف» للبحث عن الاسم والكنية التي سمعها، بعد صعوباتٍ كثيرةٍ خرجت مجموعةُ من علماء الآثار والتنقيب، لتخبرهم أنَّ صاحب القبر قُتل مع عائلته، وعددهم أربعة عشر شخصًا في طريق عودتهم من مصر. ليعود إلى تلك المرأة والرجل بلباسهم الأبيض، وتلك الوسادة البيضاء، التي لم يحصل عليها، بل أعطته خريطةً ليكون حلم الحقيقية وحقيقة الحلم.

رنينُ الهاتفِ

دخلتُ غرفتَها متخفيًّا شفافًا... أراقبها... أسمع نبضات قلبها... عند الزاويةِ تمشِّط شعرها... تلك الأصابع الناعمة، تمسح فوق ملابسها تتحسَّسُ أنوثتها، وشعرها الطويل الذي يدغدغ خصرها...

تثيرني بأنفاسها...

لم أعد أقـاوم، خطفتُ قُبلةً من تحت أذنيها... أغمضتْ عينيها...

عصفورٌ أراها... تردَّدتُ كثيرًا قبل أن أصلَ شفتيها... منعني انقطاعُ الضوءِ... وهاتفُها برنينه.

شجرةٌ هزيلةٌ

جهَّز فرشاةَ الرسم، يخلطُ ألوانًا مختلفةً، بدأ يرسم عصفورًا وحيدًا فوق شجرةٍ هزيلةٍ على غصنٍ يابسٍ، رسمَ كلَّ شيءٍ إلَّا غناءَ العصفور، توقَّف قليلًا، ثم رسمَ دائرةً سوداءَ تكبرُ، ثم تكبرُ، حتى وصلت إلى العصفور، لكن مازال صوتُ غناء العصفور في رأسه.

مرت الأيام ليكتشف أنَّه أحمقٌ أو ساذجٌ، إحدى عشرة سنةً مرَّت وهو يحبُّها بكلِّ جوارحه، تعودُ الصورُ عليه متهافتة، حينما قبَّلها في منامه استيقظ يلطم وجهه، لما فعله من أمرٍ مشينٍ مع زوجته القادمة، وتلك اللحظات التي كانت تمر سريعًا بينما تكون موجودةً معه في مكانٍ واحدٍ.

لم يكن صوتُها الوحيد الذي يشنِّف أذنيه، فقد كانت العصافير تغني، والأشجار تصفق بأوراقها، إنَّها أحلامٌ جميلةٌ قد كبرت مع السنين الطويلة، كان يخفي معها حبَّه، وحتى تلك اللحظة التي علمت بأنَّه يحبُّها سرًّا، لم يكن وقعها عليه بمثل ما كان يتصور، إذ كانت موجودةً بين الأسطر في كل كتابٍ، وكانت هي عناوينَ كلِّ

الكتب التي يتصفحها، وتلك الأشعار التي تقع بيده... كانت تُنظَمُ لها، وكلُّ قوافيها تعنيها هي. تناول اللونَ الأبيض فوضع نقطةً داخل الدائرة السوداء، وسط الظلام هناك أفقٌ للأمل. من حينها طار العصفور، وماتت الشجرة.

ترك الرسمَ، وكتبَ قصيدةً... «عصفورٌ وحيدٌ، وشجرةٌ هزيلةٌ».

بين الحلم واللوحة، وتلك القصيدة وُلد عصفورٌ جديد.

نايٌ حزينٌ

تردَّد كثيرًا قبل أن يقرِّرَ الذهاب إليها دون علمها، ومصارحتها بما يجولُ في خاطره. وصل إلى الجامعة ودخل «الكافتريا»، وهي غارقة في معزوفة بالآتٍ الشرقية، أخرج صورتها معاتبًا، وراح يتصفحُ الحروف كي يصنعَ منها كلماتٍ تعبِّرُ عن حبِّه لها.

فجأة نهض واقفًا، تصاعدت دقاتُ قلبه، وكادت تمزِّقُ صدره حينما رآها عبر النافذة، وهي تخرج من ممرٍّ ضيقٍ تحيطُ به أشجارُ الزهور الملونه، فيما تشابكت أغصانُها فرسمت لوحةً بالألوان المبهجة.

ارتعدت مفاصلُه، هبَّ مسرعًا ليتوقَّف عند الباب، ولم يستطع نزول دركات السلم الحجري إلى الحديقة القريبة. اصطدمت عيناها بعينيه المتلهفتين بنار رؤيتها، تجمَّد جسدُه، وراح رأسُه يسترجعُ كلَّ اللحظات التي قضياها معًا..

كان متشوِّقًا لملاقاتها، لكنَّها واصلت مسيرها ذاهبةً إلى سبيلها فذاب جموده، وشعر بأنَّها النهاية، التي لم يكن يتوقعها حَدَسٌ

أنَّها شعرت بالخيبة والخذلان لأنَّه لم يقم لها أو يرحب بها، ولو بكلمة.

شقَّت الموسيقى جدارَ رأسه فغرق في حزنٍ، وراح النايُ يعزف. توقَّف كلُّ شيءٍ، وانتهى العزفُ لتتلاشى بين الطلاب وتختفي.

يعود إلى مقعده، ويُخرِجُ صورتها ثانيةً يتأملها، حتى اكتمل القرارُ بتمزيقها...

يراها تقتربُ من النافذة عبر ممرٍّ طويل. خرج من «الكافتريا»، وكان مُصِرًّا على أن يتحدَّث معها متناسيًا كلَّ طلبة الجامعة وكونه غريبًا بينهم لا يعرفه سواها، تقترب في بداية المسلك الطويل، كان يجهِّزُ نفسه ليعاتبها، وينهي كلامه بعبارة حبٍّ.

وجد نفسه أمام عينيها أسيرًا ضعيفًا، لم يستطع الحراك كأنَّه تجمَّد في مكانه، كلُّ محاولاته لتحريك يده والإيماء فشلت، حتى قدماه لا تتحركان ثابتتين في مكانها، النايُ يعزف بحزنٍ من داخل «الكافتريا»، تلك الصور تعود في مخيلته من جديد، بين الزهور وتلك الممرات التي سارا عليها، وحتى تلك الأقداح التي شربا منها، الكلمات عادت كلها تلك اللحظة في رأسه.

يتوقف كلُّ شيءٍ، ينتهي العزفُ، وتختفي بين الطلاب ليعود إلى مقعده في «الكافتريا»، يُخرِجُ صورتها من جديد حيث اكتمل القرار، مزَّقها.

هذيان

بمشاعرَ وأحاسيسَ غريبةٍ... يفورُ الصراعُ داخله، كانت صداقتهما قديمة، لكنَّه يشعر بالغيرة والحسد كلما أصبح أمامه... شدَّه حينما أمسك بعصا، وأخذ يرسم على الأرض... مما زاد من حيرته، وهو يسأل نفسه ماذا يريد أن يفعل!

لم يمر وقتٌ طويل حتى بدأ يرتفع السور... إنَّه يصنع سورًا.

براكينُ وحممٌ داخله تشتعل... كان يراقبه وهو مشغولٌ بحياكة السور الذي يرتفع تدريجيًا...

لا يتوقف عن العمل إنَّه يتصاعد بوتيرةٍ واحدةٍ... كلَّما ارتفع بانت ملامحُ تلك الحدود التي يصنعها... يلتفت نحوه حينما أصبح مرتفعًا تجاوز طوله قامة إنسانٍ... أغاظه كثيرًا نجاح ارتفاع السور، وفي الوقت نفسه يريد أن يوقفه، خوفًا عليه لأنَّه لم يسترح أبدًا.

ازدادت حركة يديه والسور يرتفع أكثر... لم يستطع أن يظلَّ جالسًا يتفرج... تقدَّم نحوه مادًّا يديه ليمسكه وهو يصيح توقَّف!

لكنَّه وجد يديه لا تمسكان شيئًا، مرَّرَ يده مرة أخرى، لكنَّها كانت تمرُّ من خلال السور... لم يكن موجودًا بالحقيقة... خيالُه المريضُ جعله يهذي.

المغفرةُ متأخرةٌ

انتابه القلقُ لحظة سماعه خبر استدعائه إلى مقر الحزب... لم ينم ليلتها، كلُّ الأفكار السيئة دارت في مخيلته.. استرجع حتى الأجزاء البسيطة مما سبق في حياته بحثًا عن السبب...

كانت حياته عادية، وبعيدة كل البعد عن السائد، والمتعارف، والمألوف... بين أوراقه، وزجاجة الخمر المحلية الرخيصة، ينهي يومه... بعد وصوله صباحًا... كانت الوجوه تتطلَّع له باستغراب، كونه لم يعتد المجيء إلى هذا المكان...

لمسئولُ مشغولٌ حسب ما قيل له... الانتظار صعب جدًا، وهو يحاول أن يجد سببًا لهذا الاستدعاء!

بعد بحثٍ طويلٍ لم يجد في سجله سوى زجاجاته التي كان يخفيها بين أكياس الخضراوات عند عودته إلى البيت، وذاك الجسد الذي يغوص بين أجزائه ليبتعد عن الحياة... كان يسلك الطرق البعيدة، والحواري الأخرى كي لا يكشفه أحدٌ... لم تكن

جميلةً، ولم يميِّزها عن النساء شيءٌ، لكنَّها سجَّلت لها موقفًا داخل أوراقه، وأصبحت ملاذه الخفي حينما تعرَّف عليها في إحدى السيارات، قد جلست مصادفة بجواره...

تمضي اللحظات ببطءٍ شديد، يستعرض حياته بأكملها هذا اليوم... أفزعه نداءُ صانع الشاي الذي سأله إن كان يريدُ قدحَ الشاي، حرك رأسه بالقبول لتكون فرصةً لاستدراج الرجل، والسؤال عن سبب هذا الاستدعاء...

وضع الشايَ أمامه، أحسَّ بالخوف من السؤال، لكنَّه استجمع قواه، فطلب منه الجلوس إلى جواره، ففعل، وبعد حديث عن الشاي سأله عن سبب الاستدعاء، توقَّف الرجلُ، ونظرَ إليه نظرةً طويلةً، فهزَّ رأسَه وتركه وحده بين ظنونه جالسًا على مصطبةٍ من الخشب يتفحصُ بعينيه كلَّ أجزاء المكان:

المدخل الكبير، والأبواب العالية، والغرف المغلقة، وأبراج الحراس التي تحيط بالأركان الأربعة، لينتقل إلى تلك الغرفة، التي ليست كباقي الغرف، لأن بابها قضبانٌ من حديدٍ وعليها قفلٌ كبيرٌ... لم تكن تكهنات بل حقيقة أنَّه سجن!

يرفع رأسه للسماء، كان ينظر إلى فتحةٍ في وسط البناية، عسى أن ينزل المطرُ منها ليغسل بقايا الخمر، ويمسح عن بدنه تلك اللمسات العفنة التي تركتها عشيقته.

- ألَّا من مغفرةٍ عند ربِّ المصلين!

يردِّد بمضضٍ.

غيَّر جلسته كثيرًا، ليداهمه التعب... قاوم نعاسه، لكنَّه لم يستطع، يُرجِعُ رأسه متكئًا على الحائط خلفه ليغطَّ في نومٍ عميقٍ.

بحث بين خبايا حياته، لم يجد سوى أكداسٍ من الورق، وحكاياتٍ تلوذُ بين طيَّاتها، وتلك الغرفة التي لم يرتِّبها منذ زمن، بقايا الزجاجات الفارغة، ورائحتها الكريهة التي اعتاد عليها، وهي تعجُّ في المكان، العودة إلى دهاليزِ حياتِه لم يكملها نداءُ صاحب الشاي للدخول إلى غرفة المسئول.

قدماه لا تقوى على حمله، ويداه ترتجفان، وقلبه يخفق، وهو يقف أمام ذلك الرجل الذي يرتدي الزيتوني، ويلفُّ رأسه بشماغ أحمر، وهو يتحدث كان يضعُ يده على مسدسه، بعد وابلٍ من الشتائم والسبِّ، أمر بربط عينيه لنقله إلى المحكمة بتهمة لفِّ زجاجة الخمر بصحيفةٍ تحمل صورة الرئيس!

لم يتمالك أعصابه فأُغشي عليه من الصدمة... بعد أن فتح عينيه على صوت سيارات موكب المسئول وهو يغادر البناية، نظر إلى صاحب الشاي الذي أخبره أنَّه نام طويلًا، والمسئول لم يطلبه، وعليه أن يرجع إلى داره.

رمادُ الأملِ

تجلس في ركنها المعتاد، بين زقزقة العصافير، وصوت أوراق الشجر، حلمٌ لا ينتهي، كلُّ الذكريات حاضرةً تدورُ بين ثنايا رأسها، بما فيها ثوبها الأبيض، وذاك الوجع، وموجٍ خفيفٍ من أثر زورقٍ قد غادر للتوِّ، تشعلُ سيجارةَ بعدها أخرى، لا لتنتشي منها، لكن لتطيلَ النظر لاحتراقها، وما يتبقى منها من رمادٍ، كروحها التي تحترق داويةً.

حطَّت حماماتٌ لونهن أبيض، تغازلن فيما بينهن، بكت بنحيبٍ وتحسرٍ، حتى حينما سقطت ورقةٌ من الشجرة في حجرها، وسقطت أخرى فأخرى... انتبهت، حدَّثت نفسها: الشجرةُ باقيةٌ، وأوراقها تسقط، ولابد من أنَّها ستنبت أخرى.

ضحكت في سرِّها، ومسحت عن وجهها الدموعَ، بعد أن تراقصَ الأملُ في رأسها... غادرت المكان.

صوتٌ متوردٌ

يجلس بجوارها، المسافة بينهما جدًا قريبة، يستمع إليها وهي تتكلم بصوتٍ هادئٍ عبر هاتفها، راح يتأملُ بقايا الربيع داخله، وهو يترنَّح نحو الستين، تتجمعُ السحبُ في رأسه، لعلَّها تعود كما كانت تمطر!

الأجـواءُ تتغيَّرُ كثيرًا، والربيعُ في ذاكرته له مذاقٌ غريب، تتحدَّثُ، وأخذَ لا يصغي لها، لكنَّه كان مشغولًا يتصفح وجنتيها، يتأمَّلُ تدفقَ الدماءِ، التي جعلت وجنتيها وشفتيها تتوردان.

عيناه تراقبُ حركاتِ جسمها، يرفعُ يده ويمرِّرها على وجهه، يتحسَّسُ التجاعيدَ التي رُسِّمت عليه... يسترقُ نظرةً أخرى... يخفضُ بصرَه خجلًا من نفسه... وكأنَّ الزمنَ يتوقفُ، ليمسحَ حياءَ الفارق الكبير بينهما.

يُنزِلُ عينيه إلى الأرض، وهو يزيحُ وجهه عنها.

ضيفٌ جديدٌ

أخذت الأيامُ تسرع، والشيبُ ينتشر برأسه، والتجاعيدُ تطارد وجنتيه وجبينه، بين زوجةٍ ترافقه عمرًا كاملًا، وبين شوقه إلى طفلٍ يحملُ اسمه، كان حملًا ثقيلًا، وحيرةً كبيرةً.

زوجته التي أحبَّها لم تنجب، بقي على حرارة الشوق إلى طفلٍ منها... بعد أن وجدت له زوجتُه زوجةً أخرى، لكنَّها كانت تتصرَّف ببلاهةٍ، أملًا بأن يأتي الطفلُ المرتقب منها... عندما دخلت العروسُ البيت، تركها الزوجُ وذهب إلى الزوجة الأولى يواسيها، ويغمرها بحبِّه الذي لم ينقطع أو ينقص، كلاهما مقتنعان بضرورة وجود طفلٍ في حياتهما، كانت العروسُ نذيرَ شؤمٍ عليهما، لتنهال المصائبُ والمشاكلُ الواحدة تلو الأخرى، فملأت البيت نحسًا وحزنًا، لكنَّ خبرَ حملِ العروس خفَّفَ عن كاهله الكثير والكثير...

ذهب مسرعا إلى زوجته الأولى ليخبرها بقدوم الضيف الجديد... ليُصدَمَ بمفاجأةٍ أطاحت به أرضًا، عندما أخبرته أنَّها حاملٌ أيضًا!

نداءُ اللَّهِ

لم يطل عليه الطريق؛ لأنَّه كان مشغولًا بكلِّ ما يراه حوله، مرَّت الأيامُ ونسيَ مرضهن، لينشغل بالمال وطريقة أخذه، بعد أن دخل مكانًا ليستريح، ويجد موضعًا للنوم، تدورُ في مخيلته الكثيرُ من الأحداثِ، والصراعِ الطويل في الأديان، والمناسك، والعقائد، حتى طرقَ مسامعه ذكرُ شخصٍ كان عليلًا، يروي الناسُ قصَّته، وهو أقرب إلى الله، حيث ذبح ذويه جميعًا، وتم أسره، والنساء، والأطفال، لم يمر الحديث طويلًا حتى غطَّ بنومٍ عميقٍ، ليستفيق على صوتِ رجلٍ كبيرٍ، والقيود على رقبته ليخبره أنَّه دعى الله له بالشفاء، وقبل أن يكمل اختفى من المكان، عند الصباح انطلق ليكمل مسيره والفكرة تشغل رأسه، لكن كان اليوم إصراره أكبر. توقَّف قليلًا لتعود ذاكرتُه إلى سببِ، وجوده في هذا المكان.

أصابه مرضٌ شديدٌ، بعد أن ضاق عليه الحالُ، وجدَ نفسه بين الموت وحيدًا، أو طلب الرزق والمعونة في مكانٍ آخر. اعتلَّتْ مخيلته بأفكارٍ كثيرةٍ قبل أن يرى جحافلَ، وسيولًا بشرية تسير من

أمامه، تحمل أعلامًا، وتهتف، بهتافٍ كان يسمعه يوميًّا، قرَّر أن يذهب معهم، على الرغم من كونه من ديانة أخرى، ومعتقد آخر.

الطريقُ طويلٌ يحتاج إلى أيامٍ وأيامٍ، بغير هُدًى يبحثُ عمَّن يعيله في محنته... وجدَ في رحلته الناسَ غير الناسِ الذين يعرفهم، وجدَ من يبذل الطعام والمشرب مجانًا، لم يستغرب ما شاهد وهو لا يفكر سوى بنفسه، ومرضه، والموت الذي يقترب منه يوميًا، يحتاجُ إلى المال لإجراء عملية.

تمضي الأيام وهو بين الحشود البشرية، مرَّت عليه أمورٌ أغرب من الخيال، لكن لم يشغل باله سوى تلك الصناديق التي تحوي المال بين مكانٍ وآخرَ، يجدُ صندوقًا يضع فيه المارةُ الأموال، يقف أمام كلِّ صندوقٍ، وهو يحدِّث نفسَه أنَّ حياته متوقِّفةٌ على تلك الأموال، لكن يجدها بعيدة كل البعد عنه... مَرَّ يومُه ليجدَ حالاتٍ كثيرة أسوء من حالته، فكانت حالتُه أهونَ، وأقلَّ صعوبةً، وجدَ فيهم الأملَ والإصرارَ على الحياة... واصل المسير وقلبه مع تلك الصناديق، بعد أيامِ سيرٍ طويلةٍ جلسَ مع مجموعةٍ ليستريح، استمع إلى حديثهم وهم يتمنُّون أيامَ مسيرهم أن تطول ولا تنتهي، كي تقرِّبهم من الله، فوجد الله عندهم كما هو عند غيرهم، لكنَّهم

مختلفون... راحت تدورُ الأسئلةُ في رأسه: لماذا هذا الإصرار، وهذا الإرهاق، وهذه الأموال التي تُبذل هنا وهناك؟ فوسوسَ له رأسُه بأخذِ المبلغ الذي يحتاج، ما دام هو لله.

قبل أن يصلَ الصندوق تذكَّر الشخصَ الذي أيقظه، فوجد أنَّه لا يعاني من شيءٍ، وقبل أن يضع يده على الصندوق ارتفع صوتٌ من مكانٍ مرتفعٍ.

سجد على الأرض فقال صوتُ المئذنةِ نداءَ الله.

تقاليدٌ باليةٌ

الأحلامُ والذكرياتُ جداولُ تأخذنا في جريانها بعيدًا دون موافقتنا.

في جني التمور، وتنظيف الأشجار يلهِّي نفسَه، ويتخذها مهنةً، لكنَّه يرى صورتها في كلِّ مكانٍ، لا تختفي من ذاكرته المتعَبة رغم ضجيج الحزن داخله، يحدِّث نفسه: هذه القرية احتضنت حبنا لسنوات.

سكان القريةَ بسطاءٌ، زفة العرس راجلة تجوب القرية، يدخل السرورُ كلَّ بيتٍ، الزغاريدُ والسعادةُ على وجوههم، أفراحُهم تجمعهم، إلَّا بيتهم الذي كان يخيِّمُ الحزنُ عليه.

ما إن مَرَّت جموعُ الناسِ المحتفلين مع العروس من أمام بيته حتى هربت العروس محتميةً داخلةً إلى بيته، الجميعُ يعلمُ بحبِّهما، لكنَّه رفض بقاءَها، وطلب رجوعها إلى زَفَّتِها، ولم يهتم لقولها إنِّها فرصتُكَ الأخيرة إذا كنتَ تحبُّني فعلًا، قالتها له بحزن.

بعد أن رفض بقاءها أنشد يقول:

- هذا نصفي انزعه، وإلى ربِّ المحبين أتركُ أمري، قريتي بأكملها تعرف قصدي وشغفي.

كانت أمُّها قد وهبتها للسيد ابن النبي دون مقابل إيفاءً لنذرٍ ما في نفسها... أغمض عينيه كأنَّه يريدُ أن يخفي العالمَ خلفه، يبتعد الصوتُ، ويهدأ الضجيجُ.

خرج يجوبُ القريةَ برأسه المثقل بالحزن الذي ظلَّ يخيِّمُ عليه. جلس إلى شجرةٍ ضمَّت حبَّهما تحتها سنواتٍ، تركا عندها أحلامَهما. والعصافيرُ التي كانت تغنِّي فوقها لم تعد موجودة، عاد في اليوم التالي يخاطبُ الجدرانَ والشجرَ، تقاليدٌ باليةٌ ورثناها عن الأجداد... خوفه من السيد منعه حتى من النيل منه سرًّا.

على حافةِ الخوفِ

تسكنُ الأوجاعُ القلوبَ المظلمةَ، تنمو وتكبرُ حتى نعتادَ عليها، فتكون عنوانًا لنا ونحن نَجِدُّ في بحثنا عن الحياة، لطالما كانت أمنية. مع شروق الشمس نهضَ من نومه مفزوعًا على طرق البابِ العنيف، وصوت والدته المزمجر لأيقاظ العروس في يومها الأول؛ لأنَّها لم تعد عروسًا، وعليها أن تجهِّز الفطورَ لزوجها قبل مغادرته المنزل، فحقيبته جاهزةٌ منذ يومِ أمس، وموعد القطار في تمام الساعة العاشرة صباحًا.

لم يعتد الراحة في حياته، لكنَّه عريسٌ جديدٌ. تناولَ فطوره، ارتدى بدلته العسكرية، قبل مغادرته وضعت والدتُه كميةً من اللحم النيئ المتبقِّي من عشاء البارحة.

ودَّعهم، وهو ينظر خلفه، ولكن هذه المَرَّة زوجته ترشُّ الماء خلفه بعدما كانت والدته تفعلها دائمًا، إنَّها عاداتُنا القديمة.

وصلَ إلى محطة القطار، وهو يحمل حقيبته التي أرهقه وزنها الثقيل.

زملاؤه ينتظرون وجبةَ اللحمِ الدَّسمة، التي ستحلُّ عليهم مثل كنزٍ ثمينٍ.

وجدَ مقعدًا قريبًا في مظلَّة انتظار القطار، جلس وهو يتحسَّسُ بقايا طعم ليلة أمس... بعد أكثر من ساعة، وصل القطار. حسب رقم البطاقة التي يحملها فكان جلوسه سيكون قرب بابِ العربة وبجوار النافذة.

الطريقُ طويلٌ إلى وجهته، والتي تناهز السبع ساعات. لم يعلم أن وصوله سيكون مع دخول الليل، المنطقةُ التي يريدُها لا يعرف مسالكها جيدًا، لكنَّه لم يهتم لأنَّه سوف يجد المساعدة بسهولة عندما يسأل الجنودَ عن الطريق.

تمرُّ الساعات الطويلة بين الجلوس لمشاهدة المناظر الجميلة من النافذة وبين الوقوف متكئًا على الباب ضجرًا... يمرُّ القطارُ بعدة محطاتٍ، ويتوقفُ أحيانًا لصعود مسافرين.

الصورةُ الجميلةُ لزوجته وحفلة العرس تدورُ في رأسه، على الرغم من أن معرفته بالعروس لم تكن منذ مدةٍ طويلةٍ، ولم تكن بينهم قصةُ حبٍّ، الأمرُ كلُّه كان صدفةً. وصل القطار إلى المحطة الأخيرة، فنزلت السيولُ البشرية، كلُّ مجموعةٍ اتَّجهت

إلى وجهتها، لكنَّه ظلَّ حائرًا، كيف يصل وحيدًا والظلام يحيطُ بالمكان؟

راح يسألُ هنا وهناك حتى وجد مجموعة قريبة لوحدته العسكرية، ومما زاد اطمئنانه تأكيدهم له بقرب المكان، وأنَّهم يعرفون المنطقة جيدًا. جلس في مقعده معهم، وانطلقت الحافلة.

يقترب الوقت من منتصف الليل، والحافلةُ يتناقصُ ركابُها شيئًا فشيئًا، وصلت إلى نهاية الطريق ليترجَّل منها من بقيَ، وكان معهم. الحيرة والخوف يسريان في بدنه، وهو لا يعرف المنطقة، ولا الأشخاص الذين معه.

سار معهم وهم يحدِّثونه بأنَّ هذا هو الاتجاه الصحيح، وأنَّ وجهته باتت قريبة، الطريقُ معبَّد مُحاطٌ بسياجٍ طويل. بين مدةٍ وأخرى يدخل مَنْ دخلَ من باب البناية ليتناقص العددُ، حتى وجدَ نفسه الأخير بينهم، مَدَّ يده مودِّعًا آخر الموجودين، وهو يخبره أنَّ في نهاية الطريق الوحدةَ العسكرية، وتذكَّرَ أن لا يترك الطريقَ المعبَّد وهناك ضوءٌ بين تلتين.

لتبدأ رحلتُه مع المجهولِ!

على ضوءِ القمر الخافت وهو يحمل حقيبته الثقيلة، ينتهي السياج ليكون مع الطريق وضوء القمر، لا يرى أبعد من أمتارٍ أمامه، وخوفه يسير معه، كلَّما تقدَّم أكثر يبتعد عن الأبنية ليكون في معزلٍ عن العالم، يبتعد، لكنَّ صوتَ نباحِ الكلاب يقتربُ.

خمَّنَ أنَّ ذلك الصوت يدل على الأحجامِ كبيرةً ومتوحشةً، وتعيشُ على بقايا طعام الجنود، زاد من سرعته، والصوتُ يقترب أكثر، وخوفه يكبر حتى أنَّه شعرَ بوقوف شعر رأسه، وباتت نبضاتُ قلبه تُسمع من مسافةٍ، رفع رأسه إلى السماء، وهو يستغيثُ بقراءة آياتٍ قرآنيةٍ يحفظها، على الرغم من عدم تذكرها جيدًا لأن الصوت يقتربُ كثيرًا فيربكه.

تلك الوحوش التي يتخيَّلها تقتربُ، لن تترك فيه عظمًا ولا لحمًا، وإنها ستكون النهاية. فتح حزام بنطاله ووضعه بيده، كأنَّ الحربَ قريبةٌ، يزيد من سرعته، فجأة توقفت الكلابُ، والصوتُ

ينخفضُ حتى تلاشى لم يعد يسمعه، عادت الثقةُ والأملُ إلى نفسه واستقر نبضُه. كان يسبِّح الله، لأنَّه حيٌّ يسير إلى الآن.

عاد يتصفح يومه وعروسه، لكن المكان الموحش، ووجهته للمجهول لم تنتهِ بعد.

على حافة الطريق ثمة أوراقٍ من نفاياتٍ مبعثرةٍ كانت تصدرُ صوتًا مخيفًا، وهي عالقةٌ على جذور وسيقان النبات البري. تخيَّل أنَّ الصوتَ أو الخشخشة، والذي كانت أقرب إلى حركة أفعى وحفيفها. يتذكر بما أخبره الجندي الأخير عن وجهته بأن ضوءًا أمامه وهو قريب بين تلتين، يبحث عن ذلك الضوء وسط الظلام فلا أمل، لكنَّ الطريقَ المعبَّد يستمر وهو يسرع.

قفزت لحظاتُ الطفولة في مخيلته، وهو يسير خلف والده قبل طلوع الشمس.

يسير بسرعة، لكنَّ خطواتِ والده كانت أكبر، فيحاول جاهدًا اللحاق به، ليكون قريبًا منه يتبع تلك الأقدام حتى نسي الضباب والبرد القارس، ليتكرَّر هذا الموقف يوميًّا حين كان يساعد والده المتعب في نصب شباك الصيد، وعليهما رفعها قبل شروق الشمس خوفًا من اللصوص وهي محمَّلة بالأسماك. هذه الأفكار

التي راودته أخذت وقتًا طويلًا، لكنَّها لم تنهِ الطريقَ الذي مازال مجهولًا أمامه.

يبحث عن الضوء هنا وهناك لكنَّه لم يجد سوى الظلام. لم تكن في الحسبان هذه الساعات المرهقة والمخيفة، وهو يشعر في كلِّ لحظةٍ أنَّ الموتَ بات قريبًا منه؛ لأنَّه وحيدٌ في صحراءَ لا يعرف فيها سوى هذا الطريق، والذي هو الآخر لا يعرف أين سينتهي.

على ضوءِ القمر الخافت يرى الطريق يختفي أمامه، تقدَّم بحذرٍ، وإذ بالطريق ينزلُ نزولًا حادًّا نحو وادٍ مظلمٍ. مع خطواته المتعثِّرة والمترددة يزداد هلعًا ورعبًا، وهو يدخل الظلام والطريق ينزل، تظهر ملامحُ جسرٍ يقتربُ، والخوف يسيطر عليه بالكامل.

من خلال الظلام يخترقُ ضوءُ القمر ليكشف ملامحَ الجسر، فيتبيَّن عمقَ الأرض تحت الجسر، حتى يصل إلى ذلك المجرى الصغير للماء، وتلك المسافة الكبيرة والعمق الهائل. لم يعد رأسه يستوعب المزيد من التخيُّلات، وهو يرى ويسمع أصواتًا غريبةً، كأنَّها أرواحًا شريرةً بأجنحةٍ مرعبة.

قرَّر اجتياز الجسر راكضًا، أمسك بالحقيبة على صدره، وانطلق بكلِّ سرعةٍ ليتجاهل كلَّ الأشياء التي تحدث بجانبه

ويركز فقط على نهاية الجسر، وصل إلى النهاية والأمل يتصاعد مع صعود الطريق ثانيةً، حيث كان يعتقد أنَّ نهايةَ الطريق قريبةٌ في الأعلى. كان صعودًا صعبًا، والتعبُ قد أخذ منه الكثير، أصبح يجرُّ قدميه جرًّا.

بعد أن وصل إلى أعلى ليصدم بأنَّ الطريقَ مازال كما تركه سابقًا، ليعاود البحث عن الضوء، والذي هو مصباحُ المكان الذي يقصد. يحيطُ الظلامُ بالمكان، والدليل الوحيد على سيره الطريق، تردَّد كثيرًا قبل أن يتوقف للاستراحة؛ لأنَّه كان يشعرُ بالتعب يسيطر عليه تمامًا، لكنَّ خوفه الأكبر أن يفقد الطريق مَرَّةً أخرى ليكون الموت حتميًّا، لكنَّه يقرِّرُ الاستمرار بالمشي، ويترك الأمرَ لله وحده، وهو يخاطبُ ربَّه أن ينجيه، يلتفت وإذ ببصيصِ ضوءٍ بعيد، كان فرحًا سعيدًا، زاد من سرعته، وأنَّ وداع خوفه بات وشيكًا.

فجأة مع السيرِ ينحرفُ الطريقُ مبتعدًا عن الضوء لينهي ذلك الأمل الذي أسعده للحظاتٍ، كان القرارُ صعبًا في ترك الطريق المعبد، والتوجُّه صوب الضوءِ، أو البقاء على الطريق الذي لا يعلم له نهايةً، فيتذكَّر ما أوصوه به بأنَّ الضوءَ قريبٌ من الطريق وبين تلتين، لذلك أكمل طريقه إلى المجهول.

يستعرضُ حياته وطفولته، وكيف يستقبلُ والدُه خبرَ موته، وزوجته التي تركها وهي عروس، بين هذه الأفكار، وإذ بالضوء واضحٌ بين تلتين بقربه، وبين مصدق ومكذب لما يرى، مسح عينيه ليتأكَّد أنَّه لا يحلم أو أنَّه سرابٌ، لكنَّه كان المكان الذي يقصد، نادى لكنَّه لا يسمعُ أيَّةَ إجابةٍ، كرَّرَ صياحَه بصوتٍ عالٍ.

جلس مقرفصًا وأمامه حقيبته، ووضع يديه على رأسه.

أيقن ألَّا مجيب... لم يكن هناك أحدٌ.

هوية الكاتب

خالد مهدي حسين ال عربو الشمري

بكالوريوس رياضيات

مواليد 1971 كربلاء

العمل: مدير مدرسة

عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين.

المؤلفات:

- كتاب «زبد الأيام» (حوارات ثقافية) الجزء الأول 2017
- كتاب «وهج الحروف» (قراءات ثقافية) 2018
- كتاب «زبد الأيام» (حوارات ثقافية) الجزء الثاني 2018
- كتاب «أروقة الثقافة» (الملتقيات الثقافية في كربلاء) 2019
- كتاب «نبوءة حمامة» (مجموعة قصصية) 2019
- كتاب «حصاد الأيام» (حوارات ثقافية) الجزء الثالث 2019

فهرس

الإهداء 5

حديثُ العيون 7

قسمةٌ 8

هاجسٌ 10

معزوفةُ الطائر 12

عَبر الأثير 14

جذورٌ عنيدةٌ 15

الوطواط 17

شجرةُ التوت 19

المقعدُ خالٍ 25

أريدُ زمني! 32

انتحار 35

المرأة 37

الشبح... ذلك النهار 39
رصيف المحنة 42
رمل 44
عريس 45
عاد من الموت 46
طفلةُ الشاعر 48
رسالةٌ أخيرةٌ 49
خفافيش 51
خيط 53
ذاكرةٌ متوقفةٌ 54
تمرد 55
أمواجٌ هائجةٌ 56
القبلةُ الأولى 57
سفرٌ إلى الأبد 58
سحرُ مكانٍ 60

حلمُ ليلةٍ طويلةٍ 62
رنينُ الهاتفِ 66
شجرةٌ هزيلةٌ 67
نايٌ حزينٌ 69
هذيان 72
المغفرةُ متأخرةٌ 74
رمادُ الأملِ 78
صوتٌ متوردٌ 79
ضيفٌ جديدٌ 80
نداءُ اللهِ 81
تقاليدٌ باليةٌ 84
على حافةِ الخوفِ 86
لتبدأ رحلتُه مع المجهولِ! 89
هوية الكاتب 95